المحاضرة الثّامنة:

النّقـــد النّفـــــسي

تمهيــد:

تغدو القراءة عملية تأليف، لأنّها تثري النّص، وتكمل فراغاته التي تركها المؤلّف (الباثّ)، حيث يعتمد المبدع على ذكاء القارئ، ويجبره على متابعة ماكتب أو أبدع خصّيصا لأجله، وبحسب سارتر فإنّ القراءة ليست مروحة للكسالى، وهي عملية تشترط حضور الفكر، وانفتاح العقل، وانشراح القلب كي تبرز الخطوط العريضة إزاء الحواس فتقلّب جوانبها وتعي بواطنها وتستمتع بمعانيها، وتتتلذّذ بتراكيب الخطاب التي تؤلّف النّص. وتُعدّ القراءة النّفسية من بين الآليات التي تساعد في إعادة تقويم تراثنا، وعلى الرّغم من انتشار المذهب النّفسي في النّقد والأدب، وشيوعه بأوروبا إلى درجة قصوى، فإنّه ما يزال عندنا في العالم العربي غير واضح المعالم.

وعليه؛ فعلينا أن نقوم أولا بتحديد ماهية هذا المنهج أولا، ثمّ الوقوف عند تجلّياته عند النّقّاد العرب.

1-تعريف المنهج النّفسي:

في محاولة من الباحث منصور عبد الرّحمن، يقول عنه في تدرّج: " إنّ كلمة النّفس واسعة الدّلالة، غير محدّدة المفهوم، وبالتّالي؛ حين نريد أن نتكلّم عن المنهج النّفسي في دراسة الأدب، فإنّه لابدّ لنا من أن نثقف المعنى المقصود من كلمة(نفس)، فقد يقصد بالمنهج النّفسي في دراسة الأدب البحث

عن الحالة العقلية والنّفسية التي كان عليها المؤلّف وقت عملية الإنتاج الفنّي، وقد يُراد به البحث في عملية الخلق الفنّي ذاته.

الواقع أنّ أول من اشتهر بهذا المنهج في دراساته كان الطّبيب والفيلسوف النّمساوي'' فرويد سيغموند 1856م/1939م حين نشر كتابه (تفسير الأحلام) مسنة 1900م، ثمّ راح يوالي نشر دراساته التّحليلية، ولعلّ أهمّها:

ليوناردودافنشي: دراسة نفسية جنسية لذكريات الطّفولة.

دوستويفسكي وجريمة قتل الأب.

غرادينا (لويليام ينش) وهي دراسة لقصّة ألمانية.

ولعلّ فرويد بهذه الدّراسات الثّلاث، يكون قد أقام منهجين من التّحليل:

أحدهما: دراسة الشّخص المريض نفسيا، واتّخاذ إنتاجه الفنّي هاديًا له في الدّراسة.

والآخر : دراسة الأثر الأدبي دراسة تحليلية نفسية، أمّا عند العرب: فيبدو أنّ أول جامعة عرفته كانت جامعة القاهرة ابتداء من سنة 1938م، حيث كان أحمد أمين يقوم بالتّعريف به من خلال إلقائه بعض المحاضرات التي لها علاقة بهذا المنهج على طلبة الدّراسات العليا في كلّية الآداب، ثمّ انتشر شيئا فشيئا عبر البرامج الجامعات العربية الأخرى، واكتسب أنصارا هنا وهناك حتّى غدا من المناهج الحديثة التي يلجأ إليها الدّارسون لدراسة كثير من الشّخصيات الأدبية، سيما المشهورة منها

والتي تركت بصماتها على العصور الأدبية المختلفة، أو تلك التي اتّسمت بجوانب فنّية أو فكرية متميّزة في حقل التّجديد، أو التّمرّد ونحوهم.

وحتّى وإنّ **فرويد** يعترف أنّ التّحليل النّفسي يجب أن يستسلم إزاء العبقرية الفنّية، فإنّ كثيرا من النّقّاد المحدثين قد استغلّوا هذا المنهج أسوأ استغلال، فراحوا يخضعون كلّ فنّان للتّحليل النّفسي المبالغ فيه مطبّقين حرفيا ما تلقّوه من معلومات نفسية، ولعلّ مصطفى سويف يكون رائد هذا المنهج بكتابه: الأسس النّفسية للإبداع الفنّي في الشّعر خاصّة، نشره سنة 1951م، **وشاكر عبد الحميد**: الأسس النّفسية للإبداع الفنّي في القصّة القصيرة.

وقد عُدّ **عبّاس محمود العقّاد** من أهمّ أنصار هذا الاتّجاه في النّقد العربي منتهيا إلى قوله: إذا لم يكن بدٌّ من تفضيل إحدى مدارس النّقد على سائر مدارسه الجامعة، فمدرسة النّقد السّيكولوجي أو النّفساني أحقّها جميعا في رأيي وفي ذوقي معا، لأنّها المدرسة التي نستغني بها عن غيرها، ولا ننقد شيئا من جوهر الفنّ.

ودعا **أمين الخولي** لتطبيق هذا المنهج في دراسة التّجربة الفنّية، مثل دراسته حياة أبي العلاء المعرّي وابن الرّومي والنّويهي، وبادر العقّاد كما أشرنا لدراسة أبي نوّاس.

ويمكن تقسيم رواد النقد النفسي عند العرب إلى ثلاث مجموعات:

-**الأولى**: عباس محمود العقاد: الذي تناول في كتابه " أبو نواس الحسن بن هانئ"، وشخصية أبي نواس من منظور نفسي، وحاول تفسير سلوكه وإبداعه من خلال نظرية اللاشعور وعقدة أوديب.

-محمد النويهي: الذي تناول في كتابه " أبو نواس في ضوء التحليل النفسي" شخصية أبي نواس من نفس المنظور، وركز على عقدة أوديب عند الشاعر.

-عبد الرحمن بدوي: الذي تناول في كتابه" الأدب والتحليل النفسي" قضايا فنية وأدبية مختلفة من منظور نفسي، مثل الإبداع الفني والرمزية والأحلام.

الثانية: الرواد الذين تخصصوا في علم النفس، وطبقوا نظرياته على الأدب، ومنهم:

-مصطفى سويف: الذي تناول في كتابه " الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر" العلاقة بين العوامل النفسية والعوامل الاجتماعية في الإبداع الفني.

-زين الدين المختاري: الذي تناول في كتابه" المدخل إلى نظرية النقد النفسي" أسس المنهج النفسي في النقد الأدبي.

-عزالدين إسماعيل: الذي تناول في كتابه " التفسير النفسي للأدب" قضايا نفسية مختلفة في الأدب العربي مثل الشخصية والعقدة والرمزية.

الثالثة: الرواد الذين اهتموا بالتحليل النفسي المعاصر، وطبقوا نظرياته على الأدب، ومنهم:

-جورج طرابيشي: الذي تناول في كتابه"عقدة أوديب في الرواية العربية" عقدة أوديب في الروايات العربية المعاصرة.

-خريستو نجم: الذي تناول في كتابه" النرجسية في أدب نزار قباني".

-محمد برادة: الذي تناول في كتابه" اللاشعور في النص الأدبي" العلاقة بين اللاشعور والنص الأدبي.

غير أنّ الملفت للانتباه أنّ الدّراستين توصّلتا إلى نتائج مختلفة، وقد أثّر هذا الاتّجاه النّقدي في الكثير من النّقّاد، كعزّ الدّين إسماعيل، فاروق خورشيد، وأفاد منه كلّ من كان يهتمّ بالبحث في عملية الإبداع الأدبي وعلاقتها بعوامله الدّاخلية التي ينبع منها خيال الأديب ضمن سياقات ترتكز على أنّ دراسة النّقد النّفسي للظّواهر الإبداعية نثرية وشعرية على مبدأ الواقع واللّذة أدّى به إلى المعيارية؛ أي ضرورة التّخلّي عن الواقع الخارجي نهائيا والانطواء في الواقع وإغفال الجوانب الجمالية للنّص الأدبي.